في سبيل معجم متكامل لأعلام الجزائر

تحقيق مخطوط تراجم علماء ساهل

الدكتور الحمدي أحمد

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

جامعة وهران

تمهيد:

من العجب أن مخطوطات علماء الصحراء الجزائرية . على كثرتها وتنوعها . ما تزال غير محققة ولا منشورة، وهي تملأ الخزائن العامة والخاصة، رغم أن بعضها أشير إليه وتم تحليله في كتابات الغربيين، خلال فترة الاحتلال. وأعتقد أن عزوف الأكاديميين، والباحثين، عن الاهتمام بالتراث العلمي لتلك المناطق، هو من الأمراض المنهجية والمعرفية التي نعاني منها، خاصة ما تعلق منها بتراجم الشيوخ والأعلام. فأغلب المعاجم، والموسوعات، التي أرخت لعلماء الجزائر أهملت ذكر علماء الصحراء إلا من اشتهر منهم. وتحقيق هذا النص يأتي ليسد هذا النقص الحاصل في حركة التأليف، وتسجيل الآثار المتعلقة بشيوخ العلم بتلك الجهات والنواحي.

إن الغاية من تحقيق هذا المخطوط الصغير الحجم والعظيم الفائدة، هو تقديم نص أقرب إلى ما أراده صاحبه، وسأثبت ما صح من الروايات، وأحاول ألا أثقل النص بهوامش كثيرة وممتلئة بمعلومات قد تصرف القارئ عن المتن.

المؤلف:

مما يؤسف له أن النسخ المتوفرة من هذا المخطوط عارية عن ذكر اسم المؤلف، غير أن القرائن المتوفرة تدل بوضوح أنه أحد أعلام قبيلة فلان، وبالخصوص من فرعها المتواجد بالصحراء الجزائرية بمنطقة تديكلت. والدليل على ذلك من المخطوط نفسه، حيث يقول عند ترجمته للشيخ حمزة ولد الحاج أحمد: «شيخ مشائخنا»[1] ويقصد بشيخ المشايخ الفلانيين الذين بساهل. ويذكر أيضا عند تناوله لأولاد الشيخ حمزة، فيقول: «بل كان من أشهرهم وأحلمهم وأفقههم، السيد عمنا أحمد المقبور بمفازة بين أولف، ورقان». [2]

كما توجد إشارات إلى أن هذا المؤلف، عاش بعد العقد الأول من القرن العشرين، وهي الفترة التي انتظم فيها القضاء في حقبة الاحتلال الفرنسي، حيث دُعي الشيخ محمد عبد القادر «من طرف السلطات الاستعمارية لتولية القضاء».[3] ويبدو جليا أن هذا المؤلف عاش بعد 1352 هـ[1933 م]، لأنه يتناول أولاد الشيخ محمد الحسن، خاصة ابنه الحاج مَحمد الذي يصفه بـ: «قاضي القضاة حاليا».[4]

ويلاحظ أن مؤلف المخطوط لا يمتلك الإحساس الجغرافي، فهو لا يفرق بين القرية والمدينة، فعند ذكره لساهل يصفها بالمدينة، وهي قرية صغيرة بضواحي أقبلي.[5] وفي المقابل ينعت ورقلة (ورجلان) بالقرية! بالإضافة إلى اعتماده على الذاكرة عند تقييد الأشعار، فهو يكتفي غالبا بذكر صدر الأبيات دون عجزها. ويكثر من: الخ، يريد إلى آخر الأبيات، لأن الغرض الترجمة وليس الوقوف على الأبيات. ومع ذلك فقد ضمّن النص بعض القصائد، التي رآها تخدم الهدف من التأليف. إضافة إلى ذلك فهو يذكر في نسق غير مفهوم مرة التاريخ الهجري، وأخرى التاريخ الميلادي عند تقييد وفيات أصحاب التراجم. وهذا ما جعلني أثبت عند كل تاريخ، التاريخ الذي يقابله تتميما للفائدة.

النسخ المعتمدة في التحقيق:

نسخة خزانة الشيخ باي بالمدرسة القرآنية مصعب بن عمير بأولف، وقد رمزت لها بـ (ص). وأصل هذه النسخة من خزانة الشيخ بن مالك بساهل أقبلي، كما موضح على غلافها. وتوجد هذه النسخة ضمن مجموع وتغطي الصفحات من 241 إلى 258، أي تسع ورقات من حجم 24/17 ومعدل 16 سطرا على كل صفحة. كتبت النسخة على ورق سميك بخط مغربي يزاوج ما بين المبسوط والمسند. ولا يرد بها اسم المؤلف، كما أن الناسخ وتاريخ النسخ غير مذكورين. ولم يسمح أصحابها . للأسف . بتصويرها، أو تصوير الورقة الأولى والأخيرة منها.

أما النسخة الثانية، فهي نسخة الطالب التهامي بخزانته الموجودة بمنطقة هقار،[6] وقد رمزت لها بـ (هـ). وهي التي اعتمدتها نسخة أصلية لقدمها مقارنة بالأولى، كما أنها تحمل اسم الناسخ، وهو الحاج محمد الناجم، تلميذ محمد التهامي. وعدد ورقاتها 13، من حجم 18/12 ومعدل 12 سطرا في الصفحة. وبها ملحق يتكون من ثلاث صفحات بها قصائد لعلماء فلانيين، وتقييد لوفيات بعض أعيان قبيلة كنته العربية. وخط هذه النسخة مغربي وعليه مسحة سودانية،[7] وهو متوسط الجودة.

وصاحب هذه النسخة هو الشيخ محمد التهامي بن عبد القادر، ويعد أحد أبرز شيوخ العلم والمعرفة بأقبلي، وأولف، ومنطقة الهقار. فهو يمثل صفوة الوراقيين الذين اضطلعوا بعمل النسخ، إلى جانب التزاماته التعليمية كشيخ الجماعة ببلده، اشتغل طويلا بنسخ أمهات الكتب ونوادرها، مع إتقان وإبداع. وتحتفظ خزائن الصحراء الكبرى بمجموعة من المخطوطات التي عكف عمره على تنميق كتابتها بخطه البديع الرائق. وهناك العديد من الشواهد التي تقف قرينة على إجادته للخط المغربي مع مسحة سودانية، وهو يأتي على رأس الخطاطين بمنطقتي تيديكلت وهقار.

وهو بالإضافة إلى اشتغاله بالنسخ عمل على نشر العلم والمعرفة، مع ذكاء حاد وذهن وقاد، وليس بغريب منه فهو أحد أنجب طلبة مدرسة ساهل، حيث درس على يد أبرز شيوخها الشيخ حمزة ولد الحاج أحمد. ولما اشتد عوده درّس بقصر اينر بأولف فترة من الزمن، ثم توجه إلى الهقار، وقام بتثبيت الدين الإسلامي بها، وتخرج على يديه الكثير من التلاميذ والطلبة، الذين يمثلون صفوة شيوخ العلم الآن. ومن أبرز تلاميذه بها ناسخ هذا المخطوط الحاج محمد الناجم. توفي الشيخ محمد التهامي بتمنراست عاصمة الهقار سنة[1402 هـ] 1982 م رحمه الله.

أما ناسخ هذا المخطوط فهو الحاج محمد الناجم، كان ملازما لشيخه محمد التهامي، وأسس مدرسة بمسجد تاهقارت، وهو المسجد الذي يتولى إمامة الصلوات به. وتجب الإشارة هنا إلى أبنه الحاج أحمد كان أيضا من تلاميذ الشيخ التهامي، وهو الآن يتولى الإشراف على مدرسة كبيرة بحي سرسوف بتمنراست. وتضم خزانتهم العديد من المخطوطات والوثائق الهامة.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد و

تراجم علماء ساهل بافبلي

ترجمة الاستاذ الكبير سيدي محمد بن السيد الحاج أحمد بن سيد محمد
ابن مالك الفبلاوي الساهلي المزداد سنة ٢٤٢ هـ
ولد بمدينة ساهل افبلي كان رحمه الله علامة جليلا لا نظير
له في وقته خصوصا في العلوم الشرعية وكان شجاعا بطلا
لا يتحرك امام العواصف ووقعت بينه وبين العلامة السيد
الحاج محمد بن سيدي جعفر محاورة والف فيها رسالة بين فيها
موافقه في القضية وبعدما كان الكثير من علماء توات افتوا
في القضية ضده ووافقوا الفقيه سيدي محمد بن جعفر لما اطلعوا
على رسالته وما جلبه من النصوص التي جمع فيها بين الاصول
والفروع والادلة الصحيحة على صدق دعواه ولم يروا بدا من
الرجوع

الورقة 1 وجه من النسخة هـ.

ودخل الناس في اخلافه افواجا ابابيل ومكنه الله من الارض يتبوأ منها
حيث يشاء يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد الله حتى عبادته
وانقطع عن بلاد ساهل نحو اربعين سنة حتى اشتاق اليه زملاؤه
واجمعوا امرهم ثم بعثوا له كتابا وفيما جاء منه قولهم
اننا نعتقد انك مسؤول على نوعين من الاسلام لم يكن عندنا
بساهل من يستحقها غيرك ولم تاتي ليوخذ اعنك ونبثهم
فينا الاول علم القرءار والثاني علم التوحيد. وخلف بنين وبنات
كلهم موجودون بالعقار وتوفي رحمه الله عمر بناهز الستين عاما
سنة 1954 في مدينة القنيطرة وهو في طريقه الى الحرمين
الشريفين فدفن هناك مشهور
وعليه مكتوب اسمه بخط احمر اظن الله عليه اوابل رحمانه
ونفعنا به وبارك في ذريته. وجعل منهم كلمة العلم كلمة
باقية في عقبه الى يوم القيامة وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه اجمعين

الورقة الأخيرة وجه من النسخة هـ.

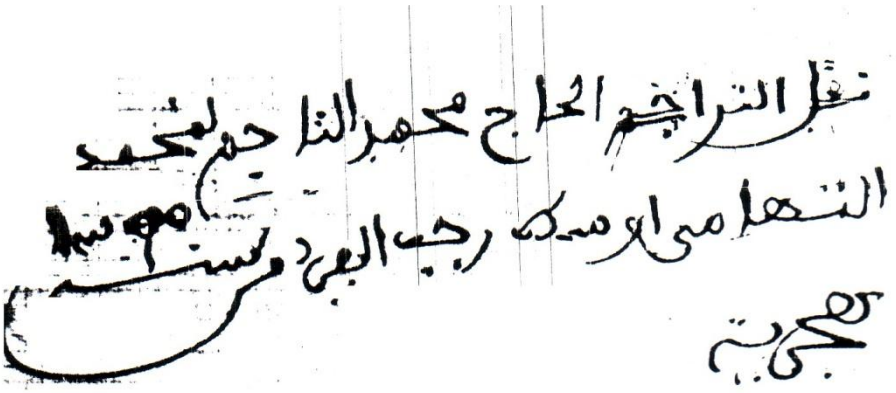

الورقة الأخيرة ظهر من النسخة هـ.

لبسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد و[على آله وصحبه أجمعين][8]

تراجم علماء ساهل بأقبلي

ترجمة الأستاذ الكبير سيدي محمد بن السيد الحاج أحمد بن سيدي مَحمد بن مالك القبلاوي الساهليّ المزداد سنة 1242 هـ[1827 م]

ولد بمدينة ساهل[9] أقبلي. كان رحمه الله علامة جليلا، لا نظير له في وقته خصوصا في العلوم الشرعية، وكان شجاعا بطلا لا يتحرك أمام العواصف. ووقعت بينه وبين العلامة السيد الحاج مُحمد بن سيدي جعفر[10]، محاورة وألّف فيها رسالة بيّن فيها مواقفه في القضية، وبعدما كان الكثير من علماء توات[11]أفتوا في القضية ضده، ووافقوا الفقيه سيدي محمد بن جعفر، لما اطلعوا على رسالته وما جلبه من النصوص، التي جمع فيها بين الأصول، والفروع، والأدلة الصحيحة، على صدق دعواه ولم يروا بدا من(و1و) الرجوع إليه. وتقدر بعشرة صحائف بالكتابة المعتدلة، وذيّلها بأبيات من البحر الطويل بقوله فيها:[12] ألخ ؟! وعدد أبياتها ثلاثة وأربعون بيتا (43) بيتا. وتوفي العلامة المذكور سيدي محمد عام 1296هـ[13] [1879 م]في أزواد،[14]بواد يسمى أنكطوف، رحمه الله أمين وخلّف جملة من الأولاد، من أشهرهم وأجلّهم القدوة العلامة الشهير سيدي محمد الحسن رحمه الله أمين.

ترجمة الشيخ الكبير سيدي محمد الحسن بن سيدي محمد بن الحاج أحمد بن محمد بن مالك، الشيخ المذكور سيدي محمد الحسن المزداد عام 1283 هـ[1867 م]

كان عالما جليلا، جامعا بين المعقول والمنقول، وكان له باع عظيم في علم القضاء بحيث لا يجارى، وكذلك الحديث، والفقه، (و1ظ) والنحو، واللغة العربية، والعروض، وغيرها من سائر العلوم. واجتمع بعدة علماء أجلاء أثناء تجولاته ما بين مالي،[15]وليبيا[16]، وكانوا على ما عليه من المعرفة التامة، يعترفون له بالمكانة التامة في العلم.

ومن أشهر مؤلفاته: كشف[17]الغموم على متن ابن أجروم، وله رسالة بعث بها إلى سيدي الشيخ سيدي محمد بن سيدي بادي، [18]في شأن حُكم حَكم فيه بالحق والصواب، وهي مسألة الشفعة في بستان أولاد برام. والقضية طويلة، فبلغ الشيخ سيدي محمد بن باد خلاف الواقع، فبعث له بأبيات يلومه على ذلك، مطلع القصيدة التي بعث بها ابن باد إليه:

سلام لا يكت سنى[19] بقيل و إكرام إلى الود الأصيل

فرد عليه صاحب الترجمة بأبيات من بحر الطويل مطلعها قوله:

سلام طيّب و ثنى[20] جميل إلى من خصّه المولى الجليل.(و2و)

وبالجملة فإنه كان من أجلّ علماء توات، أُعطيَ من الذكاء، والفطنة، وحسن الخلق، والكرم، ما لا يكاد يعد ولا يحصى. والقصيدة المذكورة، نظمها وهو كفيف البصر في آخر عمره.

أخذ عن عمه الشيخ سيدي حمزة، والسيد المختار بن أحمد المختار بن أحمد العالم، وهو الذي اقترح عليه أن يؤلف شرحا على متن ابن أجروم. وأخذ عن الكثير الغفير من علماء تنبكت،[22] وكان لا يمل من المطالعة ليلا ولا نهارا، وتولى القضاء، والفتوى[23]، فاستقام وتوفي رحمه الله عام 1352 هـ[1934 م]. خلّف من الأولاد جملة، من أجلّهم وأشهرهم العلامة الشيخ سيد أحمد، وأخيه الحبر النبيل قاضي القضاة حاليا فضيلة الحاج مَحمد، أطال المولى بقاءهما سدا لمسالك الجهل، وجعل خواتيم أعمالهم سامية سعيدة أمين.

ترجمة الشيخ سيدي حمزة:

وهو العلامة الكبير نادرة الأوان، وقطب علماء الزمان، شيخ مشائخنا (و2ظ) السيد حمزة بن الحاج أحمد بن سيدي مَحمد بن مالك القبلاوي المالكي الساهليّ. كان رحمه الله عالما جليلا، وقدوة نبيلا، ولد رحمه الله عام 1256هـ[24][1840 م]بقرية ساهل، جنوب الواحات الجزائرية. واشتغل في سن مبكرة بطلب العلم، بعد أن أتقن حفظ القرآن وضبطه. تلقى على عدة مشائخ، مثل: والده العلامة الشهير الحاج أحمد، وأخيه الكبير سيدي محمد، والشيخ محمود الشنجيطي[25]، والشيخ عبد الكريم التنلاني[26]، وعنده إجازات متصلة الأسانيد.

وبالجملة فقد كانت له اليد العليا في علوم الشريعة، واللغة والنحو، والعروض، وكانت له ذاكرة فارهة بارعة، وله محفوظات عديدة. وكان في آخر حياته يقول لبعض طلبته: «كنت في السابق أحفظ متن خليل [27]كما تحفظ الفاتحة، والآن صار حفظي له كما تحفظ سورة لم يكن». وتولى القضاء، والفتوى، بهاته الناحية. وكانت كثيرا ما ترد عليه المعضلات، والمشاكل، من توات، (و3و) ومن أراضي أزواد، ومن كل فج عميق وناحية. والكثير من فتاويه، وأحكامه، وافقه عليها علماء توات، لما أعطى من حسن التعبير والإصابة في المسائل، حتى كان مضرب المثل. وقد بلغنا أن السيد الشيخ العلامة [أحمد الحبيب البلبالي] [28]كان يقول لأبنائه قرب وفاته . وكانوا نبلاء أجلة . ما تركت عالما في توات يسموكم في العلم، والمعارف، إلا ما كان في ابني الحاج أحمد بأقبلي ساهل. ويعني بذلك السيد حمزة، وأخاه سيدي محمد ابني الحاج أحمد بن مَحمد بن مالك القدوة الشهير.

ذكر بعض تلامذته:

فمن تلامذته العلامة الجليل محمد الحسن بن سيدي [29]محمد، والعلامة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمان السكوتي[30] بن محمد، والعلامة الفقيه السيد الحاج محمد عبد القادر، والعلامة الفقيه السيد أحمد بن محمد بن الحاج عبد القادر، والفقيه السيد الحاج محمد سديعلي[31] بن الحاج جلول، والشيخ الأستاذ محمد عبد الكريم المغيلي[32]، والطالب الحاج محمد الخليفة (و3ظ) ابن أحمد، وصنوه محمد عبد الرحمان، والطالب سيدي عمار، وابن أخيه سيدي المختار بن السيد الطالب أحمادُ، وإخوته، والطالب محمد عبد القادر الأنصاري، والسيد مولاي أحمد بن مولاي عبد الله، والسيد الفقيه الحافظ لكتاب الله البارع في شكله ورسمه الحاج محمد التهامي بن عبد القادر[33]، وعدة من الطلبة من أقبلي، وأولف،[34] وتوات، وانغر،[35] وعين صالح.[36]

وبلغ من الشهرة في العلم، وطول الباع ورفع المستوى، ما جعل العلامة الكبير الشيخ سيدي مَحمد باي بن عمر، [37]يتمنى أن لو كانت له فرصة لأسند ركبتيه إلى ركبتيه يطلب منه التعليم. كما طلب منه الإجازة في الحديث، والعلوم، وقد بعث له صاحب الترجمة بذلك.

وبالجملة، فإنه قد بث العلم وأوضح طريقه، وقام بمجهودات كبيرة نال النجاح فيها، في نشرها، وتقديم حصص النصائح الدينية في كل وقته. وله في الأخير رسائل بعث بها إلى الأمراء، والقضاة، والأعيان، والخواص، والعوام، من اتحاد المسلمين (و4و).

وكان خبيرا بعلوم العروض، وأتى فيه بأسلوب غريب في نوعه. فمن ذلك أن العلامة النبيل، الأستاذ البكري بن عبد الرحمن، لما نظم القصيدة الخالية من الحروف المعجمة، بعث بها إلى صاحب الترجمة. فنظم قصيدة على شكلها ومن بحرها، خالية من الحروف المعجمة أيضا، وذلك في ظرف ساعة من الزمن، كما أخبر بذلك ما بين صلاة الظهر إلى صلاة العصر. ومن المعلوم، عندنا في الجنوب الصحراوي . طبعا . أن صلاة العصر تتأخر عن صلاة الظهر بنحو ساعة، وذلك لوجود الحرارة الشاقة. والقصيدة مطلعها:

لأحمد أسمى الرسل. الخ.

وهي من بحر الطويل، وعدد أبياتها 34 بيتا. وفي الدعاء على البغاة المفسدين، أنشد قصيدة مطلعها:

يا من تدكدكت الجبال لهيبته و لذاته عنت الوجوه لخشيته

وهي تشتمل على 66 بيتا من البحر الكامل. وله أخرى من الطويل، وتشتمل على 100 بيت، (و4ظ) مطلعها ما يلي أما بعد:

لبسم الله و الحمد للفجر سما بين بحر الروم في لُجج البحر

وأما عند حلول الدولة الاستعمارية الفرنساوية لناحية عين صالح عام 1317 هـ[1900 م]، فقد أنشد قصيدة يذكر فيها بطولة أهل انغر. ومطلعها:

يا أثبت الناس إسلاما و إيمانا و أرجح الناس في الفخر [38] ميدانا

وهي من البحر البسيط تشتمل على 41 بيتا، وانشد قصيدة في التوسل لأهل تمادنين، [39]مطلعها قوله رحمه مولاه:

الحمد لله الذي من التجا بحوله المنيع لابد نـجا

وهي من بحر الرجز، وعدد أبياتها 45 بيتا. وله أخرى في التوسل إلى الله في الشفاء لبعض أهله، مطلعها:

يـا من بلطفه كل الأزمـات و من بفضله تنال الرحمات

وهي تشتمل على 27 بيتا. ومن ذلك أيضا قصيدته التي بعث بها لبعض الأمراء، وهي من بحر البسيط. مطلعها:

وتشتمل على 15 بيتا. وفي التوسل إلى الله جل شانه أنشأ قصيدة (و5و) مطلعها:

سلام ذكي باللجين تقرمدا على من توقى في تدينه حدا

إلهي فيسر لي جميع مطالبي. الخ.

وعدد أبياتها 19 بيتا من بحر البسيط، وتوفي رحمه الله بعد الزوال [40] عام 1335 هـ[1917 م]. وخلّف من الأبناء جملة، بل كان من أشهرهم وأحلمهم وأفقههم السيد عمنا أحمد المقبور بمفازة بين أولف، ورقان، يقال لها في عرف الأولين والآخرين المالح. وكان معه رجل من قرية تمادنين، فجهزه وقام بما في المعنى من ذلك، وكان بارعا في العلوم رضي الله عنه ورحمه.

ترجمة الحاج محمد عبد القادر بن سيدي محمد[41]:

وهو العلامة الجليل، والقدوة المثيل، الأستاذ السيد الحاج محمد عبد القادر بن السيد محمد بن سيد المختار ابن العالم، القبلاوي، الساهلي، المالكي مذهبا. كان رحمه الله عالما جليلا، وأستاذا نبيلا، أخذ أولا عن جده العلامة الشيخ المختار بن العالم، وخاله الشيخ القدوة سيدي حمزة بن الحاج أحمد، وهو الذي أجازه في الحديث، والفقه، وغير ذلك من فنون (و5ظ) العلوم. وأخذ أخيرا عن الأستاذ الشيخ عبد الرحمان السكوتي.

وكانت له اليد العليا في علوم شتى حديثا، وفقها، ونحوا. وسنذكر بعض منظوماته فمن ذلك قصيدته المسماة:[42] السيف القاطع المرتضا في طلب النجاة من الدخول في القضا، وهي من بحر الرجز، وسبب نظمه لها أنه دُعي من طرف السلطات الاستعمارية لتولية القضاء، وذاك بعد موافقة من أهل الحل والربط من تلك الناحية، فتقدمت السلطات الاستعمارية إليه بذلك، وأشارت له بما هناك. فجّهل نفسه حينئذ واعتذر بأنه لا يفقه علوم القضاء، فأجابت عنه الجماعة بأنه أمثل الناحية في هذا الفن. وعند ذلك أمهلوه حتى الصباح، فلما كان الليل توضأ وجعل يتضرع إلى الله ويبكي، وينشد قصيدته المذكورة، فعافاه الله من ذلك.

وله من نفس البحر قصيدة سماها: حال أهل الوقت في فعل ما يجرهم[43] إلى المقت، وتشتمل على مائة[44] وتسع (و6و) وثمانين بيتا،[45]منها قوله:

و صاحب البدعة و الكبائر صار رئيسا من ذوي البصائر

وقال على رأس المائة[46] من القصيدة:

و عادت النساء في النياحة في كل وقت صار في الزيادة

وله من نفس البحر منظومات كثيرة، من ذلك منظومة في التوحيد، سماها: تحفة الولدان فيما يجب معرفته على الأعيان، ونظم شروط الصلاة وفرائض الوضوء، وفتح الودود في طلب الدعاء من ربنا الجم العطاء والجود، وهدية الطلاب في تعداد سور الكتاب، والنصيحة الكافية والموعظة الشافية، والدرة البهية في طلب الدعاء للأهل والذرية. وله أخرى من البحر الكامل تسمى: السراج الأنور في طلب الشفاء من المولى الأكبر، توسل فيها بسور الكتاب العزيز. ومن بحر الهزج،[47] له منظومتان في مدح الرسول وتعدد معجزاته.

هذا ونشير إلى أن المترجم له، (و6ظ) له منظومات غير هذه المذكورة. كما تواردت عليه أشعار غفيرة من علماء وقته، تدل دلالة واضحة على جزالة علمه وثقوب ذهنه. من ذلك الشيخ الكبير القدوة الشهير السيد محمد بن بادي، من آل الشيخ الأكبر السيد المختار الكبير.[48] فمما بعث به إليه قوله:

أعبد القادر السامي مرام محمد من به دهري غرام
حبيبي من مناي الدهر منه لقائي فيه لي شفا سقام
يعود عليك مني كل آن تحيا بالسلام من السلام
تجدد كل عهد قد تعفى تجدد كل ودّ ذي اهتضام
و تنشر كل ذخر في ذراكم و تحصر كل فخر للتسامي
و بعد فإننا في كل خير و عسيتم مثل ذاكم في انتظام
فكيف الحال حالكم جميعا منانا في الرحيل و في المقام(و7و)
فلا زلتم بحفظ أين كنتم هداة في المجاهل للأنام
و لا زالت من الرحمان تترى عليكم مكفهرة[49] هوام
و لا زلتم معادن كل فضل به تسنون ديجور الظلام
و لا زالت بنوكم خير أبناء شموسا في المكارم للأنام
مقاصد كل وفد كل وقت للأوطار تُؤمل من كرام
و لا زلتم مصادر كل ورد لدين المصطفى الهادي الختام
عليه و آله و الصحب طرا صلاة الله تصحب بالسلام

وله أيضا من جملة ما بُعث به إلى صاحب الترجمة أعلاه، قائلا:

يعود من باهي السلام أسمى قدرا عليك و تحايا أنمى
من ابن باد حبك الأدنى و ان باعدت الأجسام أحوال الزمن
بادرة الزمان عبد القادر ذي المكرمات الغر و المفاخر(و7ظ)
من انتقى من صدق الصيد القنن درا لا زلت شمسا لسما الدياج دهرا
و مقصدا لكل راج و معدنا للدين منه تحرج
كنور علم للمعالي تغرج
و كف كف كل من عاداك رعى الله حماك
و كنت من ابراز الزمن من قد كبوا الشر وطامى الفتن
و ذا و إني أخوك في الله فارع الأخوة أخي إلى التناه
بصالح الدعاء بظهر غيب بغفر ذنبي و ستر عيبي
دنيا و أخرى ولكل المثل على ما دام عمري إعارة إلى

ولما اطلع على منظومته التي أنشأها في الدعاء لأهل قريته وبلدته المسماة بالعرف القديم ساهل، الشيخ الأنبل والحبر الأفضل محمد بن محمد بن عثمان الفلاني الماسني، بعث إليه بهذه الأبيات مادحا جنابه الكريم بها:

لا فض فوك و لا اعترى اليدى شللا واصغراك فلا اعتراهما خلل

و ضوء نور الذهن منك لا أفل لا برحت تقتفي نهج السبل(و8و)
و لا أعارتك فكرة لا تضمحل بل لا تني وايتلت[50] تمحو الزلل
إذ جئت في ملة أفضل الرسل نظما على جل المهمات اشتملت
نظما بديعا ضمنه نصائح قد انتخت مواعظا تشفي الغلل

ولما اطلع على منظومته العلامة الجليل السيد محمد بن البكاي، من آل الشيخ المختار الكبير بعث له بها، هذا نصه:

الحمد لله الذي قد جعلا ذا الدين مد الدهر لن ينخذلا[51]
فامتد في الأقطار و الأفاق على اختلاف و على اتفاقي
صلى و سلم على من قالا لآخر الحديث لن تزالا
و ليس يخفى اليوم عن مقصر لا سيما ذي بسيطة مستبصر
أن محمد عبد القادر فيه توفرت حالات ذي التنويه
أكرم به من عالم ممتثل على شراب القوم بعد النهل
و نظمه المدعو در الصدق أكرم به من نظم أي منصف
يفرغ في قالب حق الله لا للممارات و لا التباهي(و8ظ)
أبقاه ربي مدة مديده يبني حصون دينه مشيده
و نسأل[52]الله لنا حسن الختام بجاه خير خلقه الهادي الأنام
و آله و صحبه الهداة[53] ما نُبه الغافل بالعظاة

ومن العلماء الأجلة الذين كانت له معهم مراسلات جمة، منهم: العلامة الشيخ محمد علان صاحب القليعة،[54] وكان من الذين يعترفون له بالمكانة العالية في العلم، وقد بعث له بعدد أثير من الرسائل[55] نظما، ونثرا، من كل بحر. وكان على ما بلغنا أول ما بعث به إليه هذه الأبيات، من بحر الكامل قائلا لدى جنابه:

لم تلهني عن ذكرك الأيام ابدا لأنك حجة و إمام
أبد لأنك حامل علم الهدى بك يا محمدُ يقتدي الإسلام

إلى أن قال في آخرها:

ثم السلام عليك ما قضى القضا يوما بحبكم زانه الإكرام
ما هب من نجد نسيم عاطرا فتعطرت في أريجها الأنغام(و9و)
ما أم ركب نحو خير مشفع ما جاء بالغيث العميم غمام
ما قال مفتون الفؤاد بحبكم لم تلهني عن ذكرك الأيام

ومن بحر الطويل كتب إليه هذه الأبيات قائلا:

سلام على خير الجال محمد فقيه توات رغم أبغض حاسد
على فخر أهل العلم بهجة عصره و حامل رايات الهدى الأماجد
سليل كريم جاء من نسل طاهر على خير نجل جاء من خير والد
فيا نجل عبد القادر الرجل الذي يُدال بكم عزا من الله في غد
توات بكم كالروض باكره الحيا و كالبدر في نوره الناس تهتد
يؤمك أهل العلم للعلم رغبة ليزداد كل من علوم محمد

هذا ونقول أن المترجم له رحمه الله، كرّس حياته لتحصيل العلم، ونشره، وأحيا الله به أجيالا كثيرة من أبناء تلك الناحية، من أولف، وأقبلي، وورقلة،[56] وعين صالح. إذ كان يتابع فيها الدروس الدينية، والتعاليم الإسلامية السامية، بعد وفاة شيخه العلامة الشيخ عبد الرحمن السكوتي. وتوفي[57] في سنة 1372 هـ [1953 م]بمسقط رأسه ساهل رحمه الله أمين.(و9ظ)

ترجمة العلامة الشيخ الجليل والأستاذ النبيل الحاج عبد الرحمن السكوتي الساهلي القبلاوي رضي الله عنه

المزداد سنة 1285 هجرية [1869 م]بمدينة ساهل أقبلي، بلغ الغاية القصوى في الفقه، والنحو، واللغة، والمنطق، وسائر العلوم. وله قصائد كثيرة لا تعد ولا تحصى، منها قصيدته التي أنشأها في هضم نفسه، ومدح الشيخ سيدي أحمد التجاني، وهي من بحر البسيط ومطلعها:

تصرم العمر في عنى الصبا والدد و القلب أقصى من الصفوان و الجلمد

وتشتمل على أربعة وثلاثين بيتا، وفي نفس البحر أنشا قصيدة أيضا لأهل انغر، لما انتصروا على أعداء الله ورسوله الكفار، سنة دخولهم لناحية انغر، وعين صالح، وذلك سنة 1317 هجرية [1900 م]مطلعها:

يا أهل انغر لله دام[58] مجدكم. الخ

وتشتمل على ثلاثين بيتا. ومن بحر الطويل، له قطعة بعث بها إلى علماء وقته، ومطلعها (و10و):

لمن لبه التقوى ومركبه الهدى. الخ

وتشتمل على أربعة وعشرين بيتا. ومن بحر الطويل أيضا، ختم بأبيات رسالة بعث بها إلى علماء أبي جبيهة، مطلعها يقول: نأت فمدامعي تسيل على نحري. الخ

وتشتمل على تسعة وعشرين بيتا. وله أخرى من بحر البسيط، في صورة رسالة مطلعها:

لحضرة الأكرم الحاج البشير الرضي. الخ

وعدد قوافيها ثلاثة عشر بيتا أو قافية، وألف تارة أخرى قطعة شعرية من البحر الوافر، في الرد على من أنكر التجويد على أهل المغرب، مطلعها:

فيا خرشي الأصطفى قصر هديت إلى الرشاد عن اغتياب

وتشتمل على عدد أبيات. وله قصيدة أخرى من بحر الرجز على أسماء الله عز وجل، وعدد قوافيها ثلاثة وعشرين بيتا. وله أخرى يمدح بها خاله وشيخه الفريد الوحيد حمزة بن الحاج أحمد، مطلعها ما يلي:

أيا منبر الدين الحنيفي الأورعا. الخ.

وهي من بحر الطويل، وتحتوي على عشرين بيتا. ومن بحر البسيط، فاه بقصيدة يمدح فيها شيخه وخاله حمزة أيضا، (و10ظ) مطلعها:

خلال أخالي أيا خلّي إن رمتها .الخ.

وتحتوي على تسعة وعشرين بيتا، وله تخميس على القصيدة المنسوبة لأحد ولدي سيدنا على بن أبي طالب الهاشمي، والتي مطلعها: خيرة الخلق من الناس أبي.

فخمّسها بقوله:

حُزت من فخر التقى و الحسب و الندى و المجد أقوى السبب

مع ما حزت من أقوى السبب خيرة الخلق من الناس أبي

ثم أمّي فأنا ابن الخيرتين

وله تآليف جمة غير هذه في مطلق العلوم الشرعية الإسلامية، تناولت مقاصد العبادات والمعاملات. وغير ذلك مما اعتادت المؤلفون ذكره في كتبهم القيمة، مشحونة غالبا بالمفردات اللغوية العربية، لأن حافظته امتلأت بها، والإناء يرشح بما فيه. وإن كان ربما يتحفظ في أقسام منها، ويتحرى سلامة الكلام المتداول، ورغم ذلك تدُر عنه الهواية الغريبة، فينحدر في طرائقها القدد، رضي الله عنه أمين (و11و).

ذكر تلامذته:

ثم لما كان صاحب الترجمة ثاويا بأرض ساهل، يبث العلم في حذر القلوب الواعية، فاحتملت الطلاب زبدا رابيا منه، وتخرجت عنه. رأى أن المدينة في غنى عنه للعلم، لما رأى في نبالة تلامذته هناك، كالعلامة السيد الحاج عبد القادر بن سيدي محمد بن المختار بن العالم وأضرابه، انتجع منها إلى قرية ورقلة! لينشر تعاليم الإسلام فيها، فمكث فيها ليالي وأياما يبث فيها العلم الشريف. فأقبلت عليه الناس أفواجا أفواجا ظمآنة فرويت، حتى ضربت بعطر، من ذلك تلامذته المخرجين عنه هناك: كالحاج علي بن إبراهيم، ومحمد الهاشمي بن الحاج علي، وعبد القادر بن الحاج النعيمي، ومحمد الصغير بن الحاج عيسى،[59] وأحمد بن معمر بن الشيخ، والعربي بن الحاج علي الصافي، ومحمد العربي بن الوزان، والطالب عبد الرحمن المغربي، والطالب المغربي، ومحمد بن الطالب مَحمد، والطالب أبو حفص، والحاج إبراهيم النصيري، ومحمد بن الحاج إبراهيم، وعبد القادر بن الحاج إبراهيم، ومسعود بن الحاج عبد القادر، والحاج عريمة بن الحاج عبد القادر، وعلي بن الحاج بلقاسم، ومحمد الورقلي، والطالب الشيخ البريشي،[60] وأحمد بن الحاج النعيمي.[61] هؤلاء كلهم نالوا من معارفه الفياضة (و11ظ) وانتفعوا به، وأولاهم إلى الحق فضلا، حيث تفقهوا في دينهم، وتعلموا من أحكامه ما لم يكونوا يعلمون، فهداهم الله به إلى الحق، بعد أن كان الجهل يسبل عليهم أذياله فقاوموه، بالذي تركه خاسئا وهو حسير.

ثم توجه صاحب الترجمة قاصدا بيت الله الحرام، وحج رمس سيد الأنام بالمدينة المنورة، بأنواره صلى الله عليه وسلم. وهو على أهبة الرجوع إلى هذه الأراضي الغريبة، فأتاح الله له أن توجه إلى البيت العتيق، فقضى مناسكه وأتم نسكه، وأصاب السنة فيه. ولما توجه تلقاء الينبوع راجعا إلى وطنه، أدركته منيته هناك، وانتقل إلى ذمة مولاه عام 1332 هجرية[62] [1914 م]رحمه الله أمين. فقبر بالأرض المقدسة، حيث مهبط الوحي ونزول القرآن، ومساكن الذين آمنوا بالله ورسوله وآووه ونصروه. (و11ظ).

ترجمة الشيخ السيد أحمد بن محمد [محمد العم)][63] بن محمد بن مالك الفلاني، المزداد بساهل أقبلي سنة 1307 هـ[1890 م]

وكان فقيها، عالما جليلا، تتلمذ على مشايخ ساهل، أمثال: حمزة، والشيخ السكوتي، والمختار بالعالم. وكان يجيد حفظ القرآن، وله معرفة جيدة بالروايات، وفن التجويد والأداء. ولقد رحل من مسقط رأسه من ساهل أقبلي إلى هقار، وكان يتولى فيها التعليم، والفتوى، وفصل الخصام بين المتنازعين. وكانت القرية التي يسكن بها [تسمى] تفيرت،[64] يرتاد إليها الناس من كل جهة وصوب، من العرب، والعجم. وكان يعلم العرب بلغتهم، والعجم بلغتهم.

وكان قبل أن يرحل إلى هقار، قد تزوج بالسيدة خديجة بنت محمد بن الشيخ حمزة. ثم إن الشيخ سيدي أحمد تزوج في هقار، وولد له أربعة أولاد. ثم إن الشيخ السيد أحمد المترجم له، توفي رحمه الله بمدينة المنيعة[65] ولاية غرداية، وهو في طريقه إلى الديار المقدسة سنة 1374هـ [1955 م]رحمه الله.

ودخل الناس في أخلاقه أفواجا أبابيل، ومكنه الله من الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبد الله حق عبادته. وانقطع عن بلاد ساهل نحو أربعين سنة، حتى اشتاق إليه زملاؤه، واجمعوا أمرهم، ثم بعثوا له كتابا، وفيما جاء منه

قولهم: «إننا نعتقد أنك مسئول على نوعين من الإسلام،[66] لم يكن عندنا بساهل من يحسنهما غيرك، ولم تأتي ليؤخذا عنك وتبثهم فينا، الأول علم القرآن، والثاني علم التوحيد».

وخلّف بنين وبنات كلهم موجدون بالهقار، وتوفي رحمه الله عن عمر يناهز الستين عاما سنة[1373 هـ] 1954م[67] في مدينة المنيعة. وهو في طريقه إلى الحرمين الشريفين، فقد وقع أجره على الله، وقبره هناك مشهور، وعليه مكتوب اسمه بخط أحمر. أمطر الله عليه أوابل رحماته، ونفعنا به، وبارك في ذريته، وجعل منهم كلمة العلم كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نقل التراجم الحاج محمد الناجم، لمحمد التهامي، أوسط رجب الفرد من سنة 1395هجرية[1975 م].

الهوامش:

[1] – **نسخة الطالب التهامي وهي التي رمزت لها بـ: هـ، و 2 ظ.**

[2] – **المصدر السابق، و 5 ظ.**

[3] – **المصدر نفسه، و 6 و.**

[4] – **المصدر نفسه، و 2 ظ.**

[5] – **ويستدرك هذا الخطأ في بعض ورقات المخطوط، ويشير إلى أنها قرية.**

[6] – **والتي يشرف عليها الأستاذ فيلي موسى، وقد سمح بتصويرها مشكورا.**

[7] – أقصد بالسودان هنا السودان الغربي، لأن سكان الصحراء الجزائرية إذا أطلقوا كلمة السودان فالمراد بها: مالي والنيجر وشمال نيجريا. ينظر: مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف الجديدة الرباط، ط **1984**، ج **1**، ص ص: **55 – 56**.

[8] – زيادة من ص.

[9] – ساهل: هو خامس القصور التي تشكل أقبلي التي تقع إلى الجنوب الشرقي من أولف بولاية أدرار الجزائر. ينظر:

L . voinot , le Tidikelt , Etude sur la géographie l'histoire et les mœurs du pays , Oran (1909) .p. 325.

[10]– في ص: الشيخ السيد محمد بن جعفر.

[11]– توات: إقليم بالجنوب الغربي للجزائر يمتد من عريان الرأس شمالا إلى زاوية الركاني جنوب، ويضم الكثير من القصور أهمها: تمنطيط، تيمي، بودا، زاوية الشيخ المغيلي، زاوية كنته، أنزجمير. ينظر:

A . G. P . Martin , Quatre siècles d'histoire Marocaine , imprimerie elmaarif aljadida. rabat (1994) .p. 15.

[12] . لا توجد الأبيات في النسختين.

[13] – في ص: توفي عام **1294**.

[14]– أزواد: منطقة تقع شمال مالي وتضم العديد من التجمعات السكانية والمدن أهمه: كيدال، المبروك، حلة الشيخ المختار، أنافيف. ينظر:

M. ABITBOL, TOMBOUCTOU, et les arma, Maisonneuve et larose, Paris 1979, P. 48.

[15] . في الأصل: المالي.

[16]– في ص: واجتمع أثناء تجولاته بعدة علماء ما بين ليبيا ومالي وغيرها.

[17]– في ص: تفريج.

[18] . وهو المشهور في الصحراء بولد بادي، أحد ثقاة علماء قبيلة كنته. وله العديد من المؤلفات التي تبين علو كعبه في العربية والعلوم الشرعية، لعل أهما كتابه: بلوغ الغاية على الوقاية، وهو ما يزال مخطوط يتحدث فيه عن أسباب تفشي اللحن في الصحراء وأزواد. ينظر: بلوغ الغاية، مخطوط خزانة بيت العود بأولف، و**18** ظ.

[19] – في ص: سنا.

[20] – في ص: ثنا.

[21]– في ص : على.

[22]– تنبكت: أو تنبكتو هي العاصمة التاريخية والعلمية للسودان الغربي في الفترة الوسيطة، وتقع إلى الغرب من نهر النيجر. ينظر: محمد بلو بن عثمان فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، ط الأولى **1996**، ص:**47**.

[23] – في ص : الفتوى والقضاء.

[24] – في ص: سنة **1259** هجرية.

[25]– في ص: السيد محمود الشنجيطي.

[26] – في ص: الشيخ السيد عبد الكريم بن التقي التنلاني.

[27]– في ص : مختصر خليل.

[28] – زيادة من ص.

[29] – في ص: السيد.

[30]– في ص: محمد بن عبد الرحمن.

[31] – في ص: محمد علي.

[32] – في ص: المغيلي المنوفي.

[33]– في ص: الفقيه السيد الطالب محمد التهامي بن عبد القادر.

[34] – أولف: عاصمة تيديكلت الغربية وتقع إلى الشرق من إقليم توات، وتضم العديد من القرى والزوايا، أهمها زاوية مولاي هيبة، وزاوية حينون، وأولاد الحاج، وأخنوس، وأولف الكبير. ينظر:

J. Campon ,Nord ouest Africain, Acheve dimprimer le 10 octobre 1897 par la Maison L .Danel, de Lille. P.506.

[35] – انغر: تقع وسط تيديكلت وهي تتشكل من قصور: تورفين، شويطر، زاوية الشرفة، مليانة، أقبور، السبخة، الجديد. ينظر: مجهول، تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة ووثائق أخرى، مطبوعات القصر الملكي بالرباط، ط **1962**، ص: **18**.

[36] . عين صالح: قاعدة تيديكلت الشرقية بها العديد من القرى أهما: فقارة الزوى، أقسطن، الساهلة. ينظر: عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، ملحق **2**، ص: **292**.

[37]– الشيخ باي بن عمر الكنتي هو شيخ تليه كان ينشط في الجهة الغربية من أزواد، له العديد من المؤلفات أغلبها ما يزال مخطوطا في الخزائن الكنتية بالصحراء. ينظر: باي بن عمر، شرح فتح الباري، مخطوط لدى الشيخ حيمد بموفلو وسط تمنراست، ج **1**، ص: **4**.

[38] – في ص: الفخار.

[39] – تيمادنين: إحدى قصور ركان بتوات وتقع بين قصري تعرابت والنفيس. ينظر:

C.Sabatier, Touat Sahara et soudan , société d'éditions scientifiques Paris, 1891 , p.8.

[40] – في ص: في رجب.

[41] – في ص: المولود بساهل أقبلي **1298** هـ.

[42]– في الأصل: المسمات.

[43]– في ص: ما يجر.

[44] – في الأصل: ماية.

[45]– في ص: تشتمل على مائتين وخمسة وتسعون بيتا.

[46] – في الأصل: المايا.

[47] – في الأصل: الهزاج.

[48] – المختار الكنتي والمشهور بأزواد بالشيخ الكبير توفي سنة **1811** م. ينظر: محمد الخليفة، الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد، مخطوط بمخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا بجامعة وهران، و **212** ظ.

[49]– في الأصل: مكفهراة.

[50]– هكذا في الأصل.

[51] . في الأصل: نسئل.

[52] – في الأصل: الهدات.

[53]– في الأصل: ينخزلا.

[54] – في ص: المنيعة.

[55] – في الأصل: الرسالات.

[56] – في ص: وورقلة وغيرهم. وورقلة هي نفسها ورجلان من أهم المدن الإسلامية في الجنوب القسنطيني في الفترة الوسيطة، وهي مرحلة هامة في الطريق التجاري الصحراوي. ينظر: أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط **1992**، ج **2**، ص: **881**.

57– في ص: توفي يوم خمسة ربيع الثاني.

[58]– في ص: يا أهل إينغر للسماء مجدكم.

[59] – في ص: الشيخ بن الحاج عيسى.

[60]– في ص: الشيخ بريغش.

[61]– في ص: والحاج النعيمي.

[62] – في ص: سنة **1333**هـ / **1911** م.

[63]– زيادة من ص.

[64]– تيفرت: من قرى هقار ويوجد بها العديد من الأفراد الفلانيين وأصولهم من قرية ساهل.

[65] – المنيعة: من المحطات الهامة في الجنوب الشرقي الجزائري في الطريق بين غرداية وعين صالح، يوجد بها العديد من قبيلة الشعانبة.

[66] – طبعا المؤلف يقصد بالإسلام العلوم الإسلامية.

[67] – في ص: سنة **1374**.